﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: 83 - 87]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ من بيان الكافرين مع معبوداتهم إلى بيانِ الأسباب المحركة للباطل

لَمَّا بيَّن في الآيات السَّابقة حال الكافرين مع معبوداتهم من دون اللّه تعالى، شرع هنا في بيانِ أثرِ الشياطين في الكافرين، حيث كانَ أمرُ رجوعهم عنْ متابعةِ الشّياطينِ فضلًا عنْ كفرهم بهم، دلَّ على أنَّ ذلكَ واقعٌ بمشاهداتِ الأفعالِ الصَّادرةِ منهم، والمنافيةِ لرزانةِ الحلم، ووقارِ العلم، فترى الشّياطينَ تحرّكهُم تحرّكًا عنيفًا، وتزعجهُم في المعاصي، وكلّهُ معدودٌ عليهم، فلمَّا بيّنَ حالَ الكافرينَ أتبعهُ بحالِ أهلِ الإيمانِ من المتّقينَ، ثمَّ أتبعهُ بما يدلُّ على إهانةِ أعدائه في مستقرهم في جهنّمَ، فلا تشفعُ لهم شفاعةُ الشَّافعينَ إلَّا قليلًا[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾: (أزّ) أَصْلٌ يَدُلُّ على التَّحَرُّكِ والتَّحْريكِ والإزْعاجِ[2] قالَ الخَليلُ: الأَزُّ: حَملُ الإنْسانِ الإنْسانَ على الأَمرِ بِرِفْقٍ واحْتيالٍ، الشَّيْطانُ يَؤُزُّ الإنْسانَ على المَعْصيَةِ أَزًّا، قالَ أَبو عُبَيْدٍ: الأَزُّ: ضَمُّ الشَّيْءِ إلى الشَّيءِ، قالَ الخَليلُ: الأَزُّ: غَلَيانُ القِدْرِ، وهوَ الأَزيزُ أَيْضًا[3]، والأَزُّ: صَوْتُ الرَّعْدِ، يقالُ: أَزَّ يَئِزُّ أَزًّا وأَزيزًا، والأَزيزُ:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 245 - 247.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أزّ).
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (أزز).

القُرُّ الشَّديدُ، يُقالُ: لَيْلَةٌ ذاتُ أَزيزٍ ولا يُقالُ: يَوْمٌ ذو أَزيزٍ[1] والأَزيزُ أيضًا: شِدَّةُ السَّيْرِ، يُقالُ: أَزَّتْنا الرّيحُ، أَيْ: ساقَتْنا، وبَيْتٌ أَزَزٌ: إذا امتَلَأَ ناسًا[2]، والمرادُ بالأَزِّ في الآية: الهَزُّ والاسْتِفْزازُ الباطِنيُّ[3].

2) ﴿نَعُدُّ﴾: (عدّ) أَصْلٌ صَحيحٌ واحِدٌ لا يَخْلو مِنَ العَدِّ الَّذي هوَ الإحْصاءُ، ومِنَ الإعْدادِ الَّذي هوَ تَهْيِئَةُ الشَّيْءِ، وإلى هَذَيْنِ المَعْنَيَيْنِ تَرْجِعُ فرُوعُ البابِ كُلُّها، فالعَدُّ: إحْصاءُ الشَّيءِ[4] تَقولُ: عَدَدْتُ الشَّيءَ أَعُدُّهُ عَدًّا فأَنا عادٌّ، والشَّيْءُ مَعْدودٌ، والعَديدُ: الكَثْرَةُ، وفُلانٌ في عِدادِ الصَّالِحينَ، أَيْ: يُعَدُّ مَعَهُم، والعَدَدُ: مِقْدارُ ما يُعَدُّ ومبلغه[5] والجمع: أعداد، ومِنَ الوَجْهِ الآخَرِ: العُدَّةُ، ما أُعِدَّ لِأَمرٍ يَحْدُثُ[6]، والمرادُ بالعَدِّ في الآية: الحِسابُ.

3) ﴿وَفْدًا﴾: (وفد) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على إشْرافٍ وطُلوعٍ[7] يُقالُ: وفَدَ القومُ يَفِدونَ وِفادَةً، وهم وفْدٌ ووُفودٌ، وهم الَّذين يَقْدَمون على الملوك مستنجزين الحوائج، ومِنْهُ: الوافِدُ من الإبل، وهو السَّابق لغيره[8] والوَفْدُ الرُّكبان المُكَرَّمون، وفَّدَه الأَميرُ إلى الأَمير الَّذي فوقَه، وأَوْفَدَ فُلانٌ إيفاداً إذا أَشْرَفَ، وأَوفَدتُه أَنا إلى الأَمير: أَرْسَلْتُه، والإيفادُ: الإسْراعُ، وجَمعُ الوَفْدِ أَوْفادٌ ووُفودٌ[9]، والمقصودُ بالوَفْدِ في الآية: الجَمعُ مِنَ الرِّجالِ الَّذين يَفِدونَ على غيرهم لأَمرٍ مِنَ الأُمورِ المهمّة، والمُرادُ: يقدمون مُكرَّمين مُبجَّلين رُكبانًا إلى الرَّحمن.

4) ﴿وِرْدًا﴾: (ورد) أَصْلٌ يَدُلُّ على الموافاةِ إلَى الشَّيْءِ[10] فالوِرْدُ: السَّيْرُ إلَى الماءِ، وتُسَمَّى الأَنْعامُ الواردَةُ وِرْدًا تَسْمِيَةً على حَذْفِ المُضافِ، أَيْ: ذاتَ وِرْدٍ، كَما يُسَمَّى الماءُ الَّذي يَرِدُهُ القَوْمُ وِرْدًا[11] وخِلافُهُ: الصَّدَرُ، وهو التَّراجُعُ عن الماءِ بعد الشُّرْبِ[12]، والوِرْدُ أيضاً: الجُزْءُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أزّ).
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (أزز - أزّ).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 165.
(4) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (عدد).
(5) ابن سيده، المحكم: (عدد).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عدّ).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وفد).
(8) الراغب، المفردات: (وفد).
(9) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (وفد).
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ورد).
(11) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 168.
(12) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (ورد).

أو النَّصيبُ من قِراءة القرآنِ؛ لأنّه يُجَزِّئُهُ على نفسه أجزاءً، فيقرؤه وِرْداً ووِرْداً[1]، والجَمعُ: أَوْرادٌ، والمقصودُ بالوِرد في الآيةِ: الإتيان إلى الماء بقصد الارتواء منه بعد العطش الشديد، والمراد: مُشاة مهانين باستخفافٍ واحتقار، كأنَّهم نَعَمٌ تُساق إلى الماء[2].

5) ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾: أَصْلُ الكَلِمَة مِن الشَّفْعِ، وهو: ضَمُّ الشَّيءِ إلى مِثْلِه[3] ومنه الشَّفاعَةُ: وهي السَّعْيُ والوَساطَةُ في حُصولِ نَفْعٍ أو دَفْعِ ضُرٍّ سَواءٌ كانتِ الوساطَةُ بِطَلَبٍ مِنَ المُنْتَفِعِ بها أَم كانتْ بِمُجَرَّدِ سَعْيِ المُتَوَسِّطِ، ويُقالُ لِطالِبِ الشَّفاعَةِ مُسْتَشْفِعٌ، وهيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الشَّفْعِ - كما ذَكرنا - ؛ لِأَنَّ الطَّالِبَ أَو التَّائِبَ يأتي وحْدَهُ، فإذا لم يَجِدْ قَبولًا ذَهَبَ فأتَى بِمَنْ يَتَوَسَّلُ به فصارَ ذلكَ الثَّاني شافِعًا للأوَّلِ، أَي مَصيرُهُ شَفْعًا، فالشَّفيع: الوَسيطُ في قَضاءِ الحَوائِجِ مِنْ دَفْعِ ضُرٍّ أو جَلْبِ نَفْعٍ[4] وتأْتي الشَّفاعة بمعنى الزِّيادَةِ، يُقال: شَفَعَ شَفاعةً حَسَنَةً، أي: زادَ إلى عَمَلِه عَمَلاً[5] ومِن مَعانيها أيضاً: المُشارَكَةُ، والدُّعاءُ[6]، والمقْصود بـ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ في الآية: التَّوَسُّطُ لِلآخرين لِجَلْبِ مَنْفَعَةٍ له، أو دَفْعِ مَضَرَّةٍ عنه.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

يُبيِّن الله تعالى عاقِبةَ المُتَّقين، وعاقِبةَ المُجرمينَ يوم القيامة فيقول: ألم تَرَ يا محمَّدُ ﷺ أنَّا سلَّطْنا الشَّياطينَ على الكافرينَ باللهِ، فتهيِّجُهم بالإغواءِ والتَّزيينِ إلى الكُفرِ والمعاصي، وتُزعِجُهم إليها إزعاجًا، فلا تَستعجِلْ بطَلَبِ وقوعِ الهلاكِ والعَذابِ على أولئك

يُساقُ المشركون مدفوعين دفعًا إلـــى هـاويـة مهلكة، ويُحشر المتَّقون إلى دار الكرامة ركبانًا

(1) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (ورد).
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 72.
(3) الراغب، المفردات: (شفع).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 486، و21/ 211.
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (شفع).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (شفع).

الكافرينَ، إنَّما نَعُدُّ الأعوامَ والشُّهورَ والأيَّامَ، فنُمهلُهم ونؤخِّرُ تَعذيبَهم إلى أجَلٍ معدودٍ مَضبوطٍ، فإذا جاءَ الوقتُ المحدَّدُ لذلك أهلَكْناهم، واذكُرْ يا محمَّدُ ﷺ يومَ القيامةِ حين نجمعُ الَّذين اتَّقَوا اللَّهَ بامتثالِ ما أمرَ، واجتنابِ ما نهى، فنقودُهم إلى الرَّحمنِ راكبينَ في رِفعةٍ وعلوٍّ، فيَقدَمونَ إلى جنَّتِه، ومحَلِّ ضيافتِه، ودارِ كرامتِه ورِضوانِه، ونسوقُ الكُفَّارَ والعُصاةَ إلى جَهنَّمَ عِطاشًا مُشاةً؛ إذلالًا لهم، فليس للكافرينَ مِن الشَّفاعةِ شَيءٌ يومَ القيامةِ، ولا يَشفَعونَ لأحَدٍ، ولا يستَحِقّونَ أن يشفَعَ لهم أحدٌ، لكنْ من كان مؤمِنًا باللَّه موحِّدًا ومطيعًا له؛ فإنَّه يشفعُ لِغَيرِه، وينتَفِعُ بشَفاعةِ غَيرِه له[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّةُ فصلِ الآية عمَّا قبلَها:

استئنافٌ بيانيّ كاشفٌ عن مصيرِ الكافرين

قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ استئنافٌ بيانيّ مؤسّسٌ على سؤالٍ كانَ يراودُ الرّسولَ ﷺ من إضلالِ الكافرينَ جماعَتَهُم وآحادَهُم، وإيغالَهُم في ذلكَ، ثمّ ما جرّهُ عليهم من سوءِ العاقبةِ، ونهايةِ المصيرِ[2].

ولَمَّا كانت الآياتُ السَّابقةُ دالّةً على الإمهالِ في الدّنيا، والوعيدِ في الآخرةِ، فقدْ جاءتْ هذه الجملةُ تذييلًا لتلكَ الآياتِ، وتقريرًا وتوكيدًا لمضمونِها بتشخيصِ أحوالهم، ولَمَّا كانتْ تلكَ الآياتُ تتضمّنُ إمهالًا في عذابِ أولئكَ كانتْ هذه الآيةُ تسليةً للرّسولِ ﷺ[3].

بلاغةُ الاستهلالِ بالاستفهام:

الاستفهامُ محمولٌ على التّقريرِ والتّعجبِ من حالِ الكافرين

استهلَّتِ الآيةُ بالاستفهامِ وهو محمولٌ على التَّعجبِ من حال الكافرين، وهوَ ممَّا يشيعُ في لسانِ العربِ بجعلهمُ الاستفهامَ على

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 632، و634، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 153، و154، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 264، و265.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 165.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 165.

نفي فعلٍ، وإرادةِ ضدّه، فيحثُّ المخاطبَ على أنْ يهتمَّ بتحصيله فيكونُ معنى الاستفهامِ: كيفَ لم ترَ ذلكَ؟[1].

أو التقرير بوصفه أداة فاعلةً في التواصل والتبليغ، حيث تصوّرُ تقريرَ الرؤية وتحقيقها؛ وذلك أن مؤدى دخول همزة الاستفهام على حرف النفي تصييرُ الكلام تقريرًا[2]، فجاء الاستفهام في الآية لتقرير الرؤية، وتحقيقها، وهو الغرض الأصلي من الاستفهام، ولتعجيب الرسول ﷺ لا من الإرسال، وإنّما من آثار إغواء الشياطين للكافرين، ومن حال الكافرين وكبرهم، وعنادهم، وتمردهم، واستهزائهم.

بلاغةُ اختيارِ فعل الرّؤية:

تنزيلُ علمِ إرسالِ الشّياطينَ على الكافرينَ منزلةَ الشّيءِ المرئيّ المشاهدِ

دلالةُ الرّؤيةِ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تخييليةٌ، ففي إرسالِ الشّياطينِ على الكافرينِ لبيانِ آثاره، تنزيلًا له منزّلةَ الشّيءِ الّذي تراهُ وتشاهدهُ؛ فكانَ التّعجيبُ من رؤيته واقعا بقوله: ألم ترَ ذلكَ؟[3].

وليستِ الرّؤيةُ حقيقيةً بالعينِ الباصرةِ، بل هي رؤيةُ القلبِ والخاطرِ[4]، أي: انظرْ بقلبك وتمعّنْ، وليكن منك العجبُ لأمرِ هؤلاءِ، وهي دالةٌ على العلمِ والمعرفةِ والإدراكِ؛ لأنّ الرّسولَ ﷺ لم يشهد هذه الحادثةَ[5]، أي: ألم تعلم يا خيرَ الخلقِ أنَّا أرسلْنا الشّياطينَ على الكافرين بفعلِنا وقدرتِنا؛ فالحقّ سبحانَه يضلّ من يشاءُ، ويهدي من يشاءُ، فإذا علمتَ ذلك ففوّضْ الأمرَ للّه تعالى[6].

وفي خطابِ الحقّ سبحانَه لرسولِه بالرّؤيةِ العلميةِ لا الرّؤيةِ البصريةِ؛ للدّلالةِ على أنَّ إخبارَ اللّه لكَ أصحُّ وأوثقُ منْ أخبارِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 165.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/ 249.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 165.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 32.
(5) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 15/ 9187.
(6) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 132.

عينِكَ الحاسّةِ، فلعلَّ العينَ تخدعُ، أمَّا إعلامُ اللّه فهوَ الصَّادقُ الّذي لا يخدعُكَ أبدًا[1].

فائدةُ الإفرادِ في الخطاب:

بناءُ القدوةِ في العلم والاعتبارِ

جاءَ الخطابُ في قولِه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بصيغةِ الإفرادِ، فهو خطابٌ للرّسولِ ﷺ قصدًا إلى تثبيتِه وتطمينِه[2]، وإنشاء الخطابِ له ﷺ لا للاختصاصِ، بل لجعله قدوةً لأمّته في التّعجب من شأن أولئك الكافرين.

بلاغةُ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

تنشيط المخاطَبِ وإدخالُ المهابةِ في نفوسِ المخالفينَ

بعدَ أن كانَ الكلامُ جاريًا مجرى الغيبةِ بقوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، رجعَ إلى صيغةِ الخطابِ بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنويعًا وتنبيهًا وتطريةً لنشاطِ المخاطبِ بالقرآنِ ببناءِ الكلامِ على خاصيةِ الانزياحِ اللّغوي والالتفاتِ[3] صيانةً لهُ من السّآمةِ، وكسرًا لأفقِ التّوقّعِ عندهُ، والتّعبيرُ بالخطابِ بعدَ الغيبةِ قصدًا إلى ضميرِ التّعظيمِ والإجلالِ، وإدخالِ المهابةِ في نفوسِ المخالفينَ، وتحذيرًا من عاقبةِ العاصينَ.

موقع جملة ﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا﴾:

قولُه تعالى: ﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا﴾ جملةٌ واقعةٌ موقعَ مفعولي فعلِ الرّؤيةِ ﴿تَرَ﴾[4]، والتّقديرُ ألم ترَ إرسالَنا واقعًا أو حاصلًا.

دلالةُ التّعبيرِ بضميرِ العظمةِ:

إظهار القدرةِ الإلهيةِ والعظمةِ الرَّبانيَّة

في قوله تعالى: ﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا﴾ ابتدأَ كلامَه بـ﴿أَنَّآ﴾ الدَّالّ على العظمةِ[5]، وفيه إظهارٌ لقدرته المطلقةِ، وعظمتِه الباهرةِ، ومهابتِه

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 15/ 9187.
(2) دروزة، التفسير الحديث: 3/ 182.
(3) هو "انصراف المتكلّم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه، إلى معنى آخر" ابن المعتز، البديع في البديع، ص: 152.
(4) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 337.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 12/ 245.

السَّامية في أنّ كلّ شيءٍ بأمرِه؛ فهو القادرُ على أن يرسلَ مَنْ يشاءُ على ما يشاءُ تخويفًا وتحذيرًا.

نكتةُ عدم التَّصريح باللفظِ الجليل:

مناسبة الترفّع عن ذكر لفظ الجمال والجلال في مع التصريح برموزِ الجحدِ والاستكبار

يناسبُ جوّ التنبيه، والدعوة الى التفكّر التي ضوَّعها في النصّ أسلوب الاستفهام التقريري في الآية المباركة حشدُ المؤكدات المضمَّنة إيَّاها بدءًا من استعمال التعبير ﴿أَنَّآ﴾ المكوّن من حرف التوكيد (أنّ)، وضمير التعظيم، والتفخيم (نا) المناسب للذات الإلهية، والعدول به - مقدّمًا - عن التصريح باسمه ﷻ مع رموز الجحد والإنكار: ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾، و﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ في موضع ذكر دناءة الفعال، وضِعَة الخصال؛ تنزّهًا، وترفّعًا فتعالى الله عمَّا يصفون.

دلالةُ التعبيرِ بالماضي ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾:

إرسال الشياطين على الكافرين حدثٌ واقعٌ وفعل ناصع

استعملَ صيغةَ الفعلِ الماضي في قولِه تعالى: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾؛ إيذانًا منهُ بوقوعِ الإرسالِ وتحقّقهُ، فإذا ما علمَ المخاطبُ بذلكَ لزمَ الحذرَ؛ مخافةَ تكرارِ هذا الفعلِ على مَنْ كفرَ مَنْ عباده، فهوَ ليسَ أمرًا مفترضًا، أو تهديدًا مظنونًا، بلْ هو فعلٌ واقعٌ متحقّقٌ.

بلاغةُ اختيارِ مفردة الإرسال:

لما رفض الكافرُ إرسالَ النبيين أُرسلت عليه الشياطين

أوردَ النَّظم الكريم فعلَ ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾؛ لأنّه على معنى التّخلية، أي: أنّنا خلّينا بينَهم وبينَ الّذين كفروا وعصوا ربّهم، فلم نعصمهم[1]؛ لإيصالِ رسالتِهم إليهم بمخالفةِ أوامرِه تعالى، وفيه تعريضٌ بالكافرين وتشنيعٌ عليهم، فإنَّهم لمَّا رفضوا إرسال الرسل، قبلوا ورضوا بإرسال الشياطين، فكلٌّ يعمل على شاكلته.

بلاغةُ التّضمينِ في الفعلِ ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾:

تضمينُ الإرسال معنى التَّسليطِ بدليل التعدية بحرف الاستعلاء

معنى إرسالِ الشّياطينِ في قوله تعالى: ﴿أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ تسخيرهُم لها؛ فإنّهم لم ينتفعوا من الإرشادِ النّبويِّ، وهوَ

(1) السمرقندي، بحر العلوم: 2/ 386.

الطّريقُ للخلاصِ منْ حبائلِها بموجبِ كفرهم وصدّهم، وإعراضهم عن الاستماعِ إلى مواعظِ الوحيِ[1]، وما نزلَ على الرّسولِ ﷺ.

ومعنى الإرسالِ في كلامِ العربِ إطلاقٌ للمحبوسِ، وبعثٌ للمطلقِ، وقدْ ضُمِّن هنا معنى التسليط لاقترانه بحرفِ الجرِّ ﴿عَلَى﴾ دونَ (إلى)؛ فإنَّ إرسالَ الشّياطينِ هنا بمعنى تسليطِهم على بني البشرِ[2].

بلاغةُ إسنادِ الفعلِ إلى ضميرِ العظمةِ:

التصريحُ بالمرسلِ يورِّث الهيبة والتعظيم

أسندَ الفعلَ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ إلى ضميرِ العظمةِ (نا)؛ للإيذانِ بأهميةِ الأمرِ وعظمته؛ إذِ التصريح بأنَّ الذي تولَّى الإرسال هو اللهُ ﷻ؛ فتدخلُ الرّهبةُ والخوفُ والفزعُ قلوبَ الّذينَ أرسلَ إليهم؛ فضميرِ التّعظيمِ للتّهويلِ والتّخويفِ؛ فعذابُ العظيمِ عظيمٌ، وغضبُ الحليمِ وخيمٌ.

وفي تكرار ضمير التعظيم، والتفخيم (نا) مع الفعل (أرسل) تأكيدٌ لقصدية العدول عن ذكر اسمه الأعظم مع التصريح بالشياطين والكافرين.

مناسبةُ لفظِ الشياطين مع السياق:

إبعادُ البعيدِ لون في التأكيد وضربٌ من التحقيق

التّعبيرُ بلفظِ ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ الدال على معنى البعد، معَ لفظِ الإرسالِ المؤذنِ بالعلوِّ المضمّنِ معنى التّسليطِ؛ مناسبةٌ لا تخفى، إذ تسليط البعيدِ على البعيد طردٌ وإبعاد، وتوكيد للذهاب في طرق الضلالة البعيدة، ما يندى له جبين المتأمل.

معنى التّعريفِ بـ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾:

كلّ شيطانٍ مؤهّلٌ لأن يتسلّطَ على الكافرين

التعريفُ في قولِه تعالى: ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ للاستغراقِ والجنسِ؛ فإنّ الحقّ سبحانَه يرسلُ أيًّا من الشّياطينِ على الكافرين، فكلّ شيطانٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 165 - 166.
(2) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص: 151.

مؤهّل لأن يتسلّطَ على بني الإنسانِ ممّن حادَ عن طريقِ الحقّ، وتنكّبَ عن الصّراطِ المستقيمِ.

دلالةُ جمع ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾:

التعبير عن ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ بصيغة جمع الجمع للدلالة على كثرتها، والكثرة مدعاة للتخويف والحذر، وعدم الأمان من كيدهم، ووسوستهم فهم في ذلك بعضهم ظهيرُ بعض.

بلاغةُ استعمالِ حرف ﴿عَلَى﴾:

الشّياطين لهم استعلاءٌ على الكافرين وتمكّنٌ منهم

استعمال حرف ﴿عَلَى﴾ دالٌّ على الاستعلاءِ في قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ لإفادةِ التّسليطِ[1] والتّمكّنِ والقوّةِ لزمرةِ الشّياطينِ على فئةِ الكافرين؛ فهم متسلّطون عليهم؛ فهذا هو نصيبُ الكافرِ وجزاؤه أن يكونَ ذليلًا مستضعفًا.

وفي معنى التسليط مضامين دالّةٌ على الثقل، والتبعية، والقهر؛ المعبّرة بمجموعها عن تمكّن الشياطين من الكافرين، واستيلائهم على إراداتهم، وقدرتهم على غوايتهم، وإضلالهم، وإهلاكهم، فلا انفكاك من ثمَّ، ولا افتراق، والتخلية بين المرسل وبين ما أرسل إليه من لوازم هذا المعنى ولا يتم التسليط إلا به[2].

بلاغة الاستعارة في ﴿عَلَى﴾:

من يخضع للشيطان يصبح دابّته يقودها أنّى شاء

يفصح هذا الصّوغ المُعبّر عنه بحرف الاستعلاء ﴿عَلَى﴾ في قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الدَّالّ على التّسلّط عن (استعارة مكنية) قوامها تشبيه الكافرين بالدّواب التي تساق سوقًا، والمطايا التي تُعتلى، وتُقاد؛ لتوردَ إلى الهَلكة، والخسران، وحسبهم بذلك ضعة، ومهانة، وإذلالًا.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 32.
(2) ابن القيم، شفاء العليل: 1/ 63.

دلالةُ إظهارِ لفظِ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

تعيينُ المقصودِ دفعٌ للتأويلِ وعدل في التبيين

لَمَّا تلقّت الفئةُ الّتي أرسلتْ إليها الشّياطينُ بالقبولِ منْ تسخيرِها، والوقوعِ في حبائلِها، مختارينَ غيرَ مجبرينَ، وبصدّهم عنْ مواعظِ الوحي عدلَ عن الإضمارِ إلى الإظهارِ، فقالَ: ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ إشارةً لذلكَ المعنى[1] الدَّالِ على الإصرار على الكفرِ، والإفراطِ في العنادِ، والإظهار هو مقتضى الحال.

وقد عدل عن الإضمار إلى الإظهار مع ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، وعيّنه بالتعريف بـ(ال) العهدية؛ لأنّ مورد الذّكر في مواطن الخيبة والخسران والعقوبة، إذلالٌ، ومهانةٌ يناسبه التّصريح؛ ولكونه يوائم قصدية إرسال الشّياطين وإطلاقهم، وتوجيههم التّوجيه المتّصف بالإهمال من خلال ذكر المرسَل، والمرسَلِ عليهم.

سرّ ذكر وصفِ الكفر الثابت فيهم:

فإنْ قيلَ كيفَ جاءَ بلفظِ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، وظاهرُ الآيةِ أنّ الكفرَ منهم سابقٌ على إرسالِ الشّياطينِ؟ فالجوابُ أنّ المرادَ بالكافرين هم الصَّابرون من الكفرِ[2] الثَّابتون عليه.

علّةُ إيثارِ لفظِ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ على غيرِه:

عمومُ لفظِ الكفرِ يشملُ جحودَ الوحدانيةِ، والنّبوةِ، والشّريعةِ

الكفر: اسم جامع لعديد الذّنوب، وهو يقع على ضروب منه، والكافر بحسب ما تقدّم من تأصيل لغوي (الجاحد لأنعم الله التي لا تحصى)، وهو على الإطلاق متعارفٌ فيمن يجحد الوحدانية، أو النّبوة، أو الشّريعة، أو ثلاثتها، وقد يقال كَفَرَ لمن أخلّ بالشّريعة، وترك ما لزمه من شكر الله، في حين أنّ الشرك هو: إثباتُ شريك لله، وذلك أعظم كفر، أو مراعاةُ غير الله في بعض الأمور"[3]؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 165 - 166.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 132.
(3) الراغب، مفردات القرآن، ص: 374.

فهو ضربٌ واحد من الذّنوب على عِظَم شأنه، وفداحة وصفه؛ لذا فهو أخصُّ؛ ومن هنا فاختيار لفظ الكافرين الدَّالّ على العموم يناسب سياق الآية المباركة من حيث إنّ الكافرين المعنّتين جاحدون للوحدانية، والنبوة، والشريعة؛ فناسبهم اللّفظ الأعمّ.

دلالةُ التعبير باسمِ الفاعلِ:

العريقونَ في الكفرِ لا الطارئونَ عليه

عبّرَ باسمِ الفاعلِ في قولِه تعالى: ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ لما يدلّ عليه اسمُ الفاعلِ من الثّبوتِ؛ فهم العريقونَ في الكفرِ[1] لا الطَّارئونَ عليه، فيما لو عبّرَ بالاسمِ الموصولِ والفعلِ؛ لأنّهُ يكونُ حينئذٍ معلّلًا بما في حيّزِ الصّلةِ.

فإيثارُ لفظ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بصيغة (اسم الفاعل) للدّلالة على إيغالهم في الكفر، ورسوخهم فيه، واستمرائهم له، واستمرارهم عليه، ويعضد هذا الصّوغ التّعبير عن (الأزّ) بهيئة المضارع ترسيخًا لديمومة التّهييج والإغراء، وتجدّد الإزعاج والإغواء.

سرّ فصلِ ﴿تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾ عمَّا قبلَها، وموقعُها:

حالُ الشَّياطين لمن سأل هو إغراءُ الكافرين وتهييجُ شهواتهم

فصَلَ جملةَ: ﴿تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾ عمَّا قبلَها؛ لأنّها استئنافٌ بيانيّ يقعُ جوابًا لما وقعَ في أوّلِ الكلامِ منْ إرسالِ الشّياطينِ؛ فينشأ سؤالٌ ماذا تفعلُ الشّياطينُ بالكافرين؟ فيكونُ الجوابُ أنّها تؤزّهم، أيْ: تغريهم وتهيّجُهم على المعاصي بالوساوسِ وتسوّلُ لهم[2].

وقولُهُ تعالى: ﴿تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾ جملةٌ واقعةٌ موقعَ الحالِ[3]، وهي جملةٌ مستأنفةٌ مفصولةٌ عمَّا قبلَها، وفي الحالِ تقييدٌ للإرسالِ؛ لأنَّ الشّياطينَ ترسلُ إلى النَّاسِ كافةً، غيرَ أنَّ الحقَّ سبحانهُ يحفظُ أولياءهُ المؤمنينَ منْ كيدِهم بحسبِ ما أوتيَ المؤمنُ منْ قوةِ إيمانٍ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 245.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 281.
(3) المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 4/ 390.

وصلاحِ عملٍ[1]؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر: 42]، وفي جعل جملة ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾ حالًا مقيّدًا للإرسال؛ ملمحٌ بيانيٌّ آخر يُشار فيه عدم انتفاع الكافرين بالإرشاد النبويّ المُنقذ من حبائل كيد الشيطان، وإعراضهم عن الاستماع لمواعظ الوحي.

بلاغةُ الاستعارةِ في لفظ ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾:

التّعبيرُ بالأزّ، وهو الاستفزازُ الباطنيّ في قوله تعالى: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ استعارةٌ؛ فقد شبّهَ اضطرابَ معتقدهم، واختلافَ أقوالهم وتناقضَها، وما اختلقوا من الأكاذيب، شبّهَ ذلكَ كلّه بالغليانِ المأخوذِ من أزيزِ القِدْرِ باشتدادِ غليانِها صعودًا وانخفاضًا، وفرقعةً وهدوءًا[2].

شبّهَ اضطرابَ اعتقادهم وأقوالهم واختلاقَ أكاذيبهم بالغليانِ صعودًا وانخفاضًا

وهو استعارة مكنيَّة تصوّر مشهدًا قَلِقًا مشحونًا بالتّوتر والضجيج، شُبِّهَ فيه المعنويّ بالمحسوسِ المرئيِّ المُشاهدِ تهويلًا له، وتنفيرًا منه، وتأكيدُه بالمصدرِ ترشيحٌ، وهو أقوى أنواعِ الاستعارةِ، وأشدّها مبالغةً؛ إذ يقومُ على تناسي التّشبيه، وذكرِ ما يلائمُ المشبّهَ به[3].

دلالةُ التّعبيرِ بالمضارعِ ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾:

عبّرَ عن فعلِ الأزّ ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾ بصيغةِ المضارعِ الدّالِ على التّجدّدِ؛ فهي تهيّجُهم على ارتكابِ المعاصي مرةً بعدَ أخرى، "كلّما فتروا أو ونوا أزعجتْهم الشّياطينُ، وأزّتهم وأثارتْهم؛ فلا تزالُ بالعبدِ تقودُه إلى الذّنبِ، وتنظّمُ شملَ الاجتماعِ بألطفِ حيلةٍ، وأتمّ مكيدةٍ"[4] في تجدّدٍ واستمرارٍ، فلا يجدوا للتّوبةِ والهدى سبيلًا.

الشياطين لا تملُّ من أزّها ولا تتوانى عن هزّها

لطيفةُ التّضعيفِ في الفعلِ ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾:

وردَ الفعل ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾ مضعّفًا دالًّا على التّكثيرِ تناسبًا معَ مادّتِه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 166.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 165.
(3) ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ص: 99.
(4) ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، ص: 673.

اللّغويةِ، والمعنى تحرّكُهم تحريكًا شديدًا وتزعجُهم في المعاصي والموبقاتِ إزعاجًا عظيمًا على قباحتِها وشناعتِها حتّى يكونوا كالشّررِ المتطايرِ المنافي لطبعِ الإنسانِ الطّينيِّ، الملائمِ لطبعِ الشّيطانِ النّاريِّ[1].

فعلُ الأزّ دالٌّ على شدّةِ الإزعاجِ المناسبِ للتّضعيفِ الدّالِ على التّكثيرِ

ولمّا كانَ معنى الأزّ هو شدّةُ الإزعاجِ والاستفزازِ[2]، كانَ مناسبًا أن يعبّرَ عن ذلكَ بالصّيغةِ الدّالةِ على التّضعيفِ؛ لما في هذه الصّيغةِ من معنى التّكثيرِ، والتّكثيرُ قرينُ الشّدّةِ.

دلالةُ التّأكيدِ بالمفعولِ المطلقِ ﴿أَزًّا﴾:

التّعبيرِ بالمصدرِ في قوله تعالى: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ توكيدٌ للاستعارةِ[3] في فعلِ الأزّ الصّادرِ من الشّياطينِ؛ فهي استعارةٌ مرشحةٌ بأن يأتيَ بعدَ الاستعارةِ الأولى ما يناسبُها، ويتعلّقُ بها، وبما يناسبُ المستعارُ منه[4].

التّعبيرُ بالمصدرِ ترشيحٌ للاستعارةِ في فعلِ الأزّ

وفي تأكيدِ الفعلِ المضارعِ بالمفعولِ المطلقِ (المؤكّدِ لنوعه) - الحاملِ قصد إبعادِ الشّكِ، وإثباتِ صحّةِ الكلامِ - دلالةٌ على شدّةِ تأثيرِهم على الكافرين؛ ولينا سبَ - بجماعِ التّأكيداتِ - جوَّ الاضطرابِ، والانفعالِ، والغليانِ والتّدافعِ، وتصوّرُ كلّ ذلك يمنحُ الأسلوبَ قوةً، والصّورةَ جذبًا، والمنظرَ تأمّلًا، والمشاعرَ تحرّكًا، والعقلَ تدبّرًا، والنّفسَ تشويقًا.

بلاغةُ التّناسبِ الصّوتيّ في لفظِ (الأزّ):

الصّفةُ الصّفيريّةُ في الزّاي ناسبت فعلَ التّهييجِ إلى المعاصي

ممّا يُلتفتُ إليه هنا إسهامُ صوتِ الزّاي المضعّفِ المكرّرِ في اللّفظين ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾، و﴿أَزًّا﴾ في تقويةِ المعنى بملمحِه الصّفيريّ الذي

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 246.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 281.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 165.
(4) التّرشيح أن يأتي باستعارة بعد الاستعارة الأولى بما يناسبها، ويتعلّق بها، وما يلائم المستعار منه كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: 16]، فبعد ذكر الاشتراء عقّبه بذكر الربح، وهو مناسب له، يُنظر: يحيى العلوي، الطراز: 1/ 111.

يشتدُّ وقعُه في الآذانِ؛ وهذا يناسبُ فعلَ التّهييجِ إلى المعاصي؛ فهي جهودٌ كادّةٌ لا تكادُ تتوقّفُ من لدنِ الشّياطينِ وهم يروحون ويغدون من أجلِ تضليلِ أوليائِهم، وصمِّ آذانِهم بالوساوسِ، وإغرائِهم بالمعاصي، إضافة إلى الصورة الذهنية المُتصوَّرة لحركةِ ترنّحِ المشركين، وتخبّطِهم بسببِ تسليطِ الشّياطينِ عليهم.

دلالةُ الفاءِ التَّفريعيَّة:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ دالةٌ على التّفريع[1]؛ إذ فرّعَ على ما سبقَ من الجملةِ الاستئنافيةِ، وفي هذه التّسليةِ النّهيُ عن أن يعجلَ عليهم، أي: فلا تستعجلِ العذابَ، ولا تستبقهُ؛ فإنّنا نعدّ لهم عدًّا[2].

النّهيُ عن العجلةِ متسببٌ عمَّا اتّصفوا به من سفههم وطيشِهم

ولَمَّا كانَ من شأنِ الشّياطينِ أنّها تؤزّ الكافرينَ وتحركَهم وتزعجَهم "تسبَّبَ عنهُ النّهي عمَّا اتّصفوا به من خفةِ السّفه، وطيشِ الجهلِ"[3]؛ فجاءَ بالفاءِ المؤذنةِ بالسّببِ والعلّةِ بقولِه: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾.

بلاغةُ النّهي ودلالته:

قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ﴾ نهيٌ[4]، حيث نهى الحقّ سبحانهُ نبيَّه ﷺ أن يطلبَ بتعجيلِ هلاكِهم وفنائِهم في إشارةٍ إلى أنّ دعاءَهُ مقبولٌ عندَ ربّه، وأنّه لو دعا عليهم بالهلاكِ والاستئصالِ؛ لأهلكَهُم اللّهُ كيلا يردّ دعوةَ رسوله ﷺ[5].

إمهالُ الكافرين إهمالٌ لشأنِهم ووضعٌ لاعتبارِهم وإمدادٌ بعذابِهم

وفي نهيه ﷺ عن أن يُعجِّلَ لهم تهكّمٌ وتوبيخٌ لهم؛ فإنّ الحقّ

(1) الفاء التفريعية هي الفاء التي تربط جملتين، فيكون ما قبلها علّة لما بعدها، وما بعدها فرع عنه، ينظر: الصبّان، حاشية على الأشموني: 3/ 142.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 166.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 246، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4686.
(4) الدعاس، إعراب القرآن: 2/ 251.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 166.

سبحانَه لم يتركْ هلاكَهم المعجّلَ لأجلِ خيرٍ يبتغيه لهم، ولكن كيما يزدادوا من الآثامِ والذّنوبِ[1].

توجيه المتشابه في لفظي العجلةِ والاستعجالِ:

ذكرَ في هذه الآيةِ ﴿فَلَا تَعْجَلْ﴾، وذكرَ في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: 35]، والفرقُ بينهُما أنّه أرادَ هنا استعجالَ الاستئصالِ والإهلاكِ في يومِهم الموعودِ، وهو يومُ بدرٍ، فكأنَّه قال له: لا تعجل فموعدهم يوم بدر، أمَّا العذابُ المقصودُ في آيةِ الأحقافِ فهو عذابُ الآخرةِ؛ لوقوعه في سياقِ الوعيدِ لهم بعذابِ النَّارِ[2].

النهي عن العجلةِ للتأجيل يوم بدر والاستعجالُ عذابُ الآخرةِ

لطيفةُ إفرادِ ضميرِ المخاطبِ:

وحّدَ ضميرَ المخاطبِ بالفعلِ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ﴾، والمرادُ الدّعوةُ عليهم بالهلاكِ، وهو مقدّرٌ أنّه حاصلٌ على يدِ الرّسولِ ﷺ؛ فالخطابُ موجّهٌ لهُ، ولو دعا عليهم لأهلكَهم اللّهُ تعالى[3].

دعاءُ النّبيِّ مستجابٌ لمكانته عند ربِّه

نكتةُ القيدِ بالجارّ والمجرورِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ اقترنَ حرفُ الجرِّ (على) بالفعلِ (عجلَ) إكرامًا للرّسولِ ﷺ بتنزيله منزّلةَ المستعلي؛ بموجبِ حرفِ الاستعلاءِ (على)، فمعنى (عجلَ على فلانٍ بكذا)، أيْ: أسرعَ بأنَ سلطهُ عليه، ومكّنهُ منهُ[4].

تنزيلُ النبيِّ منزلةَ المستعلي على الكافرين وهلاكُهم بيده

مرجعُ الضّميرِ في ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

الضّميرُ المتصلُ بحرفِ الجرّ في قولِه تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ يعودُ على الكافرين الّذين كانَ يتعجّلُ الرّسولُ ﷺ بهلاكِهم أو إبادتِهم؛ كي يستريحَ هو والمسلمينَ من شرورِهم وأذاهُم[5].

(1) مكي القيسي، الهداية: 7/ 4592.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 166.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 166.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 166.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 564.

علّة فصلِ جملةِ ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾:

تعليلُ النَّهي بالإمهال المعدود له

لَمَّا كانت جملةُ ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ تعليلًا لما سبقَها من سببِ النّهي ببيانِ أنّ هلاكَهم قريبٌ[1] من قوله: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ فصلَها عنها؛ فهي سببُ النّهي عن أن يعجلَ عليهم بدلالةِ إنّما المركّبة من (إنّ) مع (ما) الّتي تفيدُ التّعليلَ[2].

بلاغةُ القَصْرِ بـ﴿إِنَّمَا﴾:

يأتي القصرُ بقصدِ التّهديدِ والوعيد

جيء بـ ﴿إِنَّمَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾؛ لإفادةِ القصرِ، والمعنى أنّ الحقّ سبحانهُ لم يكنْ إلّا ليعدّ لهم؛ فهو من بابِ قصرِ الموصوفِ على الصّفةِ قصرًا إضافيًا، فنحنُ نعدّ لهم من غيرِ نسيانٍ لهم كما يظنّونَ، ولن نتركَهم من العذابِ إنّما هم مؤخّرونَ ليومٍ موعودٍ[3].

بلاغةُ الكنايةِ في استعمالِ مفردةِ العدِّ:

زمانٌ وجيزٌ يُعدُّ فماذا يرجو منه العبد

إذا كانَ ناصرُ الإنسانِ وهو الحقّ سبحانَهُ في مراقبته لعدوّه في حركاتِه وسكناتِه ممَّا يشفي الوليّ ويفرحُهُ، وممَّا يزعجُ العدوّ ويخيفُهُ ويقلقُهُ؛ علّلَ ذلكَ بذكرِ فعلِ العدِّ ليدلَّ على أنَّ زمنَهم قصيرٌ[4]، وعصرَهم حقيرٌ؛ فلينتبهوا وليحذروا.

ففي قولِه: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ كنايةٌ عن سرعةِ تقضّي أجلهم، وقيلَ للقليلِ: معدودٌ؛ لأنّ الكثيرَ يمنعُ من عدّه كثرتُه[5]؛ فالعدّ كنايةٌ عن القلّةِ، وقد يجعلُ كنايةً عن التّناهي، وقلّتُه لتقضّيه وفنائِه[6].

فمن لطائفِ التّعبيرِ بالعدّ والإحصاءِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 281.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 167.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 167.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 246.
(5) الطيبي، فتوح الغيب: 10/ 104.
(6) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 293، والآلوسي، روح المعاني: 6/ 333.

﴿نَعُدُّ لَهُمْ﴾ أنّهُ أوردَه موردَ المجازِ في تقصيرِ المدّةِ وحصرِها؛ لأنّ الشّيءَ القليلَ يحسبُ ويعدّ ويحصى؛ وفي ذلكَ تنبيهٌ وإنذارٌ باقترابِ عذابِهم واستئصالهم[1].

دلالةُ التعبيرِ بالمضارع ﴿نَعُدُّ﴾:

استمرار صدورِ الأعمال القبيحة زيادةٌ في العذاب الأليم

جاء التّعبير بالفعل المضارع ﴿نَعُدُّ﴾؛ لتحقيقِ الاستمرارِ التّجدّدي؛ فإنَّ الحقَّ سبحانهُ يعدُّ لهم كلَّ ما يصدر عنهم من أعمالٍ شنيعةٍ، وتصرفاتٍ قبيحة، فمهما صدرَ عنْ أولئكَ النَّاكبينَ عنْ طريقِ الحقِّ؛ فإنّهُ تعالى لهؤلاءِ القاسيةِ قلوبُهم بالمرصادِ، فهوَ يعدّ لهم ويمهلُهم، ويحفظُ أعمالَهم في كتابٍ لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً ليجازيهم عليها.

لطيفةُ إسنادِ الفعلِ إلى نونِ العظمةِ في ﴿نَعُدُّ﴾:

التّعظيمُ دالّ على شدّة الغضب

تشتملُ جملةُ ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ على تهديدٍ ووعيدٍ ظاهرٍ[2]، فإذا ما جاءَ فعلُ العدّ مسندًا إلى الضّميرِ الدَّالّ على التّعظيمِ كانَ في ذلك مزيدُ تهديدٍ ووعيدٍ لهؤلاءِ، فيأخذُهم الحقّ سبحانَه أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ؛ فإنّ للّه في الانتقامِ من أعدائه لأوليائِه سننًا ماضيات، وعوائد مقضيات.

بلاغةُ تقديمِ الجارّ والمجرورِ على المصدر:

تنزيلُ المشركين منزلة المخصوصِ بالعذابِ للتّهديد والوعيد

قُدِّمَ الجارّ والمجرورُ ﴿لَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ زيادةً في إفادةِ الاختصاصِ والقصرِ المستفادِ من الأداةِ ﴿إِنَّمَا﴾؛ فكأنّ العدّ مختصّ بهؤلاءِ الموصوفينَ بالكفرِ لا يتجاوزُ إلى غيرِهم، "فما أردْنا بإملائِنا لهم إلَّا إشقاءَهم وإرداءَهم، لا تنعيمَهم وإعلاءَهم، فهو من قصرِ الموصوفِ على صفته إفرادًا"[3]، وفيه توكيد تهديدٍ ووعيدٍ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 167.
(2) محمد الهلال: تفسير القرآن الثري: 16/ 120.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 246.

معنى اللَّامِ ودلالتها:

إفادةُ الاختصاصِ ودفعُ توهمِ الخلاص

اللامُ فيما قيّدَ من الجارّ والمجرورِ ﴿لَهُمْ﴾؛ لإفادةِ الاختصاصِ[1]، والمتعلّقُ بمعنى الاستقرارِ، أيْ: ما استقرَّ لهم من العدّ، أيْ: نعدّ لهم أنفاسَهم فما فوقَها من غيرِ غفلةٍ ولا نسيانٍ، فإذا حلّ الأجلُ استأصلْناهُم، ومحونا آثارَهم وديارَهم[2].

نكتةُ القيدِ بالمفعولِ المطلقِ ﴿عَدًّا﴾:

يحصي عليهم أعمالَهم فلا يزادون عليها ولا ينقصون منها

عبّرَ بالمفعولِ المطلقِ المؤكّدِ[3] في قولِه: ﴿عَدًّا﴾؛ فيحصي عليهم أنفاسَهم وأعمارَهم وأعمالَهم؛ حتّى يستوفوا آجالَهم من غيرِ زيادةٍ ولا نقصٍ[4]؛ فإنّ اللّهَ تعالى لا ينسى، ولا يخفى عليه شيءٌ.

تعدُّد العامل في الظّرفِ ﴿يَوْمَ﴾:

تنوُّع تقديرِ العاملِ دليلُ سعةِ العبارةِ وكثرة الدلالات

﴿يَوْمَ﴾ في قولِه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ منصوبٌ على الظّرفيةِ، متقدّمٌ على عاملِه؛ إشعارًا بضيقِ العبارةِ عنْ حصرِه، والإشارةِ إليه، وبيانِه وشرحِه، لما يقعُ فيه من كمالِ الفظاعةِ من الطَّامّةِ التَّامّةِ، والدّواهي العامّةِ[5].

ويحتملُ أن يكونَ عاملُه ﴿نَعُدُّ﴾، فالعدّ يكونُ في ذلكَ اليوم، أو ظرفًا لانتفاءِ الملكِ؛ فلا يملكون الشّفاعةَ ذلكَ اليومَ، أو ظرفًا لمضمرٍ، أي: نفعلُ بهم في ذلكَ اليوم، أو أن يكونَ مفعولًا على تقديرِ: اذكرْ ذلكَ اليومَ[6].

ويحتمل أن يكون جوابًا ناشئًا عن سؤالٍ على طريقةِ الاستئناف البياني، كأنه قيل: متى يكون ذلك؟ فقيل: يكون يوم يُحْشَرُ[7].

(1) وهو أعم معاني اللام في كلام العرب، ينظر: الرماني، معاني الحروف: 50 - 51.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 246.
(3) المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 4/ 390.
(4) العليمي، فتح الرحمن: 4/ 273.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 281.
(6) المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 4/ 391.
(7) السمين الحلبي، الدر المصون: 7/ 641.

بلاغةُ التعبير عن القيامة بحشرِ المتقين:

جاء بيان يوم القيامة بجملةِ ﴿نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ مؤثرًا إيَّاهُ على يومِ القيامةِ؛ لأنَّ هذه الوفادةَ على الحقِّ ﷻ إنّما تحصلُ بعد انتهاءِ الحسابِ، وهيَ للنّهوضِ والقيامِ إلى الجنّةِ[1]، وما أعدّ لهم الرّحمنُ من الإكرامِ والتّبجيلِ، فالحشر هو حشد الجموع للحسابِ، بعد أن كانت منفلتةً في دار الفناءِ.

بعدَ انقضاءِ الحسابِ ينهض المتّقون إلى الجنّةِ

بلاغةُ التّعبيرِ بالمضارعِ ﴿نَحۡشُرُ﴾:

عبّرَ النظم الكريم بفعلِ الحشرِ في قولِه: ﴿نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ بالمضارع؛ لكونِ الحشرِ حاصلًا في المستقبل، ولما فيه من تصويرِ المتقين وهم يُحشرون إلى الجنة.

دلالةُ إسنادِ فعلِ الحشرِ إلى ضميرِ العظمةِ:

لَمَّا كانَ من أخصّ خصائصِه تعالى الحشرُ والنّشورُ، وهو دالّ على عظمتِه وجبروتِه وقدرتِه وإحاطتِه بكلّ شيءٍ، عبّرَ عن فعلِ الحشرِ بصيغةِ (نفعلُ) بالنّونِ الدَّالةِ على هذه العظمةِ، وتلك القدرةِ، وفيها إيماءٌ إلى اختصاص ذلك به ﷻ.

الحشرُ من صفاتِه العلى وعظمتِه وجبروتِه وقدرتِه

معنى (أل) في لفظِ ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾:

الألفُ واللّامُ في قولِه: ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ جنسيةٌ لاستغراقِ جميعِ منْ يتّصفُ بهذه الصّفةِ من عباده؛ فإنّهُ تعالى يحشرُهم إليه محفوفين بالكرامةِ والهيبةِ والشّرفِ؛ بما كانَ منهم منْ حسنِ عملٍ في الدّنيا.

لطيفةُ التّعريفِ بالاسمِ الظّاهر دون الموصول:

وفي قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ عبّرَ باسم الفاعل الظّاهرِ ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ دونَ الاسمِ الموصولِ (الّذين اتّقوا)؛ لإرادةِ العراقةِ في التّقوى[2]، والثّبوتُ عليها؛ لكونها راسخة فيهم، خلافَ الموصولِ الدَّالّ على أنّه علّةٌ للخبرِ.

الإيماءُ إلى عراقةِ المتقين وثبوتهم فيها

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 32.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 246.

توجيه تخصيص المتقين بالذكر:

تبجيل المؤمنين والتّعريض بالخاسرين

اختارَ النظم الكريم وصفَ ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ في الآيةِ دونَ غيرِها من الأوصافِ؛ لما يمثلُه هذا الوصفُ من التّبجيلِ[1] والمدحِ والتّوقيرِ، جزاءً بما كانوا يفعلون في حياتِهم الدّنيا، ولَمَّا أرادَ مدحَ أوليائِه الّذينَ تسربلوا سرابيلَ التّقوى، وتلفعوا بأرديةِ الورعِ، اصطفى لهم وصفَ المتّقينَ دونَ غيره من الأوصافِ؛ لما يشتملُه هذا الوصفُ على اتّقاءِ الشّركِ والنّفاقِ، والامتثالِ لأمرِ اللّه تعالى، والانتهاءِ عمَّا نهى عنهُ[2]، وفيه تعريضٌ بمن لم يتقِّ اللّه تعالى في الدنيا الفانية، وآثر شهواته وملذاته.

دلالةُ جمعِ ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾:

المتقون على مراتب والجميع يُحشر إلى الرحمن

في التّعبيرِ بلفظِ الجمعِ ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؛ لأنّهم على درجاتٍ في التَّقوى، ولبيان أنَّ التفاوت بين المتقين لا ينزع عنهم وصف الحشر إلى الرحمن، ففيه تربيةٌ بالتدريج.

دلالةُ حرفِ انتهاء الغاية:

مَنْ كان منتهى غايته في الدُّنيا الرَّحمن فهي كذلك في الآخرة

لَمَّا كانَ حرفُ الجرّ ﴿إِلَىٰ﴾ دالًّا على انتهاءِ الغايةِ[3]، جاءَ به في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ إعلامًا بأنّ منتهى غايتِهم وحركتِهم يكونُ عندَ الرّحمنِ[4]، وخاتمةَ آمالهم أن يكونَ الحقّ سبحانَه وجنّتُه المحطّةَ الأخيرةَ الّتي يستريحون فيها من عناءِ الدّنيا وكدّها؛ فعُدّيَ ﴿نَحۡشُرُ﴾ بـ ﴿إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾؛ تعظيمًا لهم، وتوقيرًا وتشريفًا[5] بما كانَ من تقواهُم وإيمانِهم حتّى نالوا المنزلةَ العاليةَ عندَه تعالى.

توجيه تخصيص اسم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بالذِّكر:

خُصَّ ذكرِ اسم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ من دونِ أسمائِه الحسنى؛ للإشعارِ

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 42.
(2) السيوطي، معترك الأقران: 2/ 547.
(3) ابن بابشاذ، شرح المقدمة المحسبة: 1/ 236.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 565.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 298.

بأنَّ حشر المتقين سيكون إلى الرحمن، فإنَّ النَّصَّ على هذه الصفة بذكر الاسم الكريم أوضح معنًى من ذكر غيرِه، وللدّلالةِ على عمومِ رحمتِه تعالى[1]، فيدخلُ في رحمتِه عمومُ المؤمنين، وعمومُ الصَّالحين، وفيه ذكر كرامة لهم؛ فإنَّ فعلَ الحشرِ معناهُ الجمعُ منْ أماكنَ متفرقةٍ، وأقطارٍ بعيدةٍ نائيةٍ قهرًا لهم؛ فتأتي صفةُ الرّحمانيةِ؛ لتأذنَ بأنّهم صائرونَ إلى منْ يرحمُهم ويرأفُ بهم[2]، و"لأنّ شوقَهم إليه، ورجاءَهم فيه، فدلّهم إليه لتسكنَ نفوسُهم"[3] فجاءَ خطابُه خطابَ المطيعِ بما هو مشتاقٌ إليه.

خـــوفُ هـيـبـةِ الحشر يدفعه اسم الرحمن

نكتةُ تقديم الجارّ والمجرورِ على ﴿وَفۡدًا﴾:

قُدِّمَ الجارّ والمجرورُ ﴿إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ على ما قيّدَ من الحالِ[4]، فلم يقل: (نحشر المتقين وفدًا إلى الرحمن)؛ لإفادةِ التّخصيصِ والقصرِ المقتضي إكرامَ هؤلاءِ الّذين اتّقوا ربّهم؛ فأنالَهم أعظمَ الدّرجاتِ؛ فهم يفدون على الرّحمنِ لا على غيرِه، ومَنْ أفضلُ حظًّا ممّن وفدَ على الرّحمنِ، بالإضافة إلى ما في التَّقديم من الإكرام، وما في تأخير ﴿وَفۡدًا﴾ من التشويق.

مقتضى التَّقديم الإكرام ومقتضى تـأخـير (وفـــدًا) التشويق

احتمال المجازِ بالحذفِ:

قولُه تعالى: ﴿إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ يحتمل المجازَ بالحذفِ، فالأصلُ في حشرِهم أنّ أمرَهم يؤولُ إلى ما وعدَهم الرّحمنُ من الثّوابِ والكرامةِ، والجزاءِ الحسنِ[5].

علّة إيثار لفظ ﴿وَفۡدًا﴾:

في اختيار لفظ ﴿وَفۡدًا﴾ في التعبيرِ عن المتقين ما يدلّ على

تـصـويـر المتقين بالوفدِ القادمِ في ضيافةٍ وإكرامٍ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 247.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 298.
(3) السيوطي، معترك الأقران: 2/ 547.
(4) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 338.
(5) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 260، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 12/ 565.

إكرامِ اللّه إيَّاهم؛ فقد صوّرَهم بصورةِ القادمين في إسراعٍ ورفعةٍ وعلوّ، مثلَما تُشاهَدُ الوفودُ عندَ مقدمِها على الملوكِ، يحفّها الإكرامُ، وتحيطُها الضّيافةُ[1]؛ فكانَ الّذينَ اتّقوا ربّهم يحشرُهم إليه على الغايةِ من الإكرامِ، ولهم عندَ ربّهم منزلةٌ عظيمةٌ[2].

علَّةُ إفرادِ ﴿وَفْدًا﴾:

أغنى جمعُ المتقين عن جمع الوفد

استعملَ ﴿وَفْدًا﴾ على هذه الصّيغةِ المفردةِ معَ أنّه حالٌ من ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ المجموعِ جمعَ مذكرٍ سالم؛ لأنّه في الأصلِ مصدرٌ، ثمَّ أصبحَ يطلقُ على الأشخاصِ كلفظِ الضّيفِ، ومعنى الوفدِ الجماعةُ الوافدون[3].

استنباط التّشبيه في لفظ: ﴿وَفْدًا﴾:

وفدُ الرحمن قارٌّ ثابت لا كوفود الدُّنيا آيبون من حيث أتوا

في قولِه تعالى: ﴿وَفْدًا﴾ تشبيهٌ بالوفودِ؛ لأنَّ الموصوفينَ سراةُ النَّاسِ، وألطفُهم شكلًا، وليستْ وفادتُهم جاريةً على الحقيقةِ؛ لأنَّ منْ عاداتِ الوفودِ على الملوكِ الانصرافَ عنهم بعدَ وفادتِهم، وهم مقيمونَ قارّون أبدًا، متقلّبونَ في ثوابِ ربّهم[4].

معنى الواوِ ودلالتها:

لَمَّا ذكرَ ما يدلّ على كرامةِ أوليائِه عطفَ عليه ما يدلّ على إهانةِ أعدائِه

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ دالّةٌ على العطفِ[5]؛ فإنّه لَمَّا ذكرَ من إكرامِه لعبادِه المؤمنين بأن يردوا عليه وفدًا، أتبعَه عطفًا بذكرِ حالِ أعدائِه المجرمين النَّاكبين وإهانتِهم[6] بأن يُساقوا إلى جهنّمَ مستقرًّا لهم.

وعطفُ سوقِ المجرمينَ على حشرِ المتّقينَ لهُ غايةٌ أخرى، وهيَ زيادةُ عذابِ المجرمينَ المحكومِ عليهم بالإهانةِ في ذلكَ اليومِ؛

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 247.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 260.
(3) ابن عادل، اللباب: 13/ 144.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 298.
(5) الدعاس، إعراب القرآن: 2/ 251.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 247.

لما يرونهُ من الإكرامِ والإنعامِ الّذي ينالُ فيه الأتقياءُ أعطياتِهم العظيمةَ، وما يبلغونَ منْ آمالِهمُ المنشودةِ، بما وعدَهم إياها ملكُ الملوكِ[1]؛ فإكرامُ المتّقين فيه مزيدُ حسرةٍ للمجرمين.

نكتة إيثار الفعلِ ﴿وَنَسُوقُ﴾:

إهانةُ المجرمين في سَوْقِهم كما تُساق البهائم سوقًا عنيفًا مزعجًا حثيثًا

آثر النَّظم استعمال مفردة السوق في قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ لما فيه من الإيذان بأنّ هذا الفعلَ إنّما يحصلُ على كرهٍ وتمنّعٍ من المساقين[2]، كما يفعلُ سائقُ البهائمِ العنيدةِ؛ فيجرّها جرًّا؛ فبعدَ أن أكرمَ اللّه تعالى عبادَه المتّقين بوفادتِهم إلى الرّحمنِ عبرَّ بالفعلِ الدَّالّ على بهيميّةِ المجرمينَ منْ أعدائه فقالَ: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، أي: أنّهم "يساقونَ إلى النَّارِ بإهانةٍ واستخفافٍ كأنّهُم نَعَمٌ عِطاشٌ تساقُ إلى الماءِ"[3]، ولَمَّا كانوا أضلَّ من البهائم[4] في الانحيازِ عنْ طريقِ الهدى والحقِّ كانَ وصفُهم بالسَّوْقِ أليقَ وأنسبَ.

بلاغةُ التعبير بالمضارع ﴿وَنَسُوقُ﴾:

تصويرُ المجرمين حالةَ سوقِهم إلى جهنم

المقرّرُ في كلامِ العربِ أنْ يدلَّ الفعلُ المضارعُ على الحركةِ والتّجدّدِ، وتصويرِ الحالةِ بحدوثه شيئًا بعدَ شيءٍ، ومرةً بعدَ أخرى[5]؛ كأنّها واقعةٌ مشاهَدةٌ؛ فجاءَ فعلُ السّوقِ هنا تحقيقًا لذلكَ الأمرِ بقوله: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، في صورةٍ حيّةٍ ترى فيه المجرمينَ وهم يُساقونَ كالبهائمِ إلى جهنّمَ بموجبِ إشراكِهم وتمرّدِهم.

لطيفةُ إسنادِ الفعلِ إلى ضميرِ العظمةِ:

إظهارُ الجبروتِ أليقُ بعقابِ المجرمين والنّكايةِ بهم

في إسنادِ فعلِ السّوقِ ﴿وَنَسُوقُ﴾ إلى النّونِ الدَّالةِ على الحقّ سبحانَه بطريقِ الجمعِ دلالةٌ على إظهارِ عظمتِه وجبروتِه

(1) ملا حويش، بيان المعاني: 2/ 177.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 260.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 565.
(4) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 6/ 397.
(5) السبكي، عروس الأفراح: 1/ 316.

وسطوتِه تعالى، وهي صفاتٌ تليقُ بالمقامِ، مقامِ عقابِ المجرمين، والنّكايةِ بهم.

علَّةُ اختيار مفردة الإجرام:

الإجرامُ أوضحُ صورِ الكفرِ بشاعةً لما فيه من دوافعِ الفساد

أتى النَّظم بصفةِ الإجرامِ في قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ لهذه الفئةِ النَّاكبةِ عن طريقِ الحقّ والهدى بالإجرام؛ إشعارًا بالعِلِّيَّةِ، فما كانَ مصيرُهم هذا إلَّا بسببِ إجرامِهم، وآثَرَها على صفة الشرك والكفر لما تحمله من المعاني الدَّالة عليهما، ولما لهذه الصّفةِ منْ بروزٍ وظهورٍ في حالِهم؛ فهيَ لازمةٌ منْ لوازمِ الإشراكِ باللّه؛ لأنَّ المشركَ مجرمٌ آثمٌ[1].

والمجرم مشتقّ من الجَرْم، وهو القطعُ، فالمجرمُ مَنْ قطعَ جميعَ صلاتِه بالحقّ سبحانَه؛ فتمرّدَ على أوامرِ اللّه ونواهيه؛ فارتكبَ الذّنوبَ، وأصرّ على المعاصي[2].

تعريفِ ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

أوردَ لفظَ ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ معرفةً، والألفُ واللَّامُ فيها لاستغراقِ جنسِهم؛ ليعمّ كلّ المجرمين في كلّ الأزمانِ، كلًّا بحسبِ جرمِه، ومعصيتِه، وسوءِ فعلِه، وطبيعةِ ذنبِه.

نكتةُ التّعبيرِ باسمِ الفاعل ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

الإيماءُ إلى رسوخِ صفة الإجرام فيهم

جاء التّعبيرِ باسمِ الفاعل ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ لأنّ وصفَهم بالإجرامِ دالّ على ثبوتِهم على هذه الصّفةِ لا بسببٍ مخصوصٍ، وإنما بسبب عراقتِهم وثباتِهم على الإجرامِ الموصلِ بهم إلى مستقرّهم في جهنّمَ، وبئسَ المصيرِ.

بلاغةُ تقييدِ السَّوْقِ بالجارّ والمجرورِ:

قيّدَ فعلَ السّوقِ بالجارّ والمجرورِ بقولِه: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 8/ 770.
(2) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 7/ 98.

﴿جَهَنَّمَ﴾، فجاءَ الفعلُ معدًّى بهذا الحرفِ؛ تفظيعًا لهم، وتبشيعًا لما آلَ إليه أمرُهم، وما استقرَّ عليه حالُ مقرّهم[1].

سيقوا إلى حالِ مقرّهم الموصوفِ بالفظاعةِ والبشاعةِ

معنى حرفِ ﴿إِلَىٰ﴾ ودلالته:

قد تبيّنَ في مواضعَ كثيرةٍ دلالةُ حرفِ الجرّ ﴿إِلَىٰ﴾ على انتهاءِ الغايةِ، فجاءَ به في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ إيذانًا بأنّ منتهاهُم ومستقرّهم جهنّمُ؛ فهي محطّتُهم القارّةُ يلاقون فيها جريرةَ أفعالهم من الكفرِ والجحودِ والعصيانِ.

جهنّم منتهى المجرمين ومستقر المتكبرين

سرّ إيثارِ اسم ﴿جَهَنَّمَ﴾ بالذكر:

"سُمّيتْ جهنَّمَ لبعدِ قعرِها، يقالُ بئرٌ جهنامٌ إذا كانت بعيدةَ القعرِ، وهي تحتوي على حرورٍ وزمهريرٍ ففيها الحرّ والبردُ على أقصى درجاتِهما"[2]، ومن هنا اختصّ لفظُ ﴿جَهَنَّمَ﴾ بالتّعبيرِ عن عذابِ الآخرةِ حصرًا، فلم تستعملْ في التّعبيرِ عن أيّ غرضٍ من أغراضِ الدّنيا كما هو الحالُ في لفظِ (النَّارِ)، فضلًا عن أنّ الموضوعاتِ التي وردَ لفظُ النَّارِ في سياقِها أكثرُ من الموضوعاتِ التي وردَ لفظ جهنّم في سياقِها؛ لكونِ النَّارِ عقابًا لأصغرِ الذّنوبِ، بخلافِ جهنّمَ التي لا يعذّبُ فيها ولا يخلّدُ إلَّا المشركون.

جهنّمُ قعرٌ مختصّةٌ بالمشركين المخلّدين

بلاغة المجاز في لفظ ﴿وِرْدًا﴾:

قيّدَ الحقّ سبحانَه مساقَ الكافرين إلى جهنّمَ بالحالِ ﴿وِرْدًا﴾[3]، ومعنى الوردِ هم الجماعةُ الّتي تردُ الماءَ بمدعاةِ عطشِها؛ فإنّه لا يردُ أحدٌ الماءَ في الغالبِ إلَّا بعدَ الشّعورِ بالعطشِ والظّمأ[4]؛ فهو من بابِ المجازِ العقليّ؛ إذ أطلقَ الوِرْدَ على العِطاشِ من بابِ تسميةِ الشّيءِ بسببِه[5].

الوردُ الجماعةُ الّتي تردُ الماءَ ولا يردُ أحدٌ الماءَ إلَّا بعدَ العطشِ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 298.
(2) الخلوتي، روح البيان: 3/ 280.
(3) المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 4/ 391.
(4) الواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 196، والزمخشري، الكشاف: 3/ 43.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 298.

علةُ فصلِ جملةِ ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾:

قولُه تعالى: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ استئناف مسوقٌ لتقرير حال الناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم ولا علاقة لها بالفريقين المتقدمين[1].

معنى ﴿لَّا﴾ في جملةِ ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ﴾:

انتفاءُ الشّفاعةِ لهم أو منهم لغيرِهم في ذلكَ الموقفِ

﴿لَّا﴾ في قولِه: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ دالةٌ على النّفي في الحالِ وهذا هوَ معناها في كلامِ العربِ؛ لأنَّ نفيَ الشّفاعةِ هنا أنّها ليستْ لهم في هذا المقامِ، وهوَ مقامُ الحسابِ؛ فلا شفاعةَ لهم منْ غيرِهم، ولا شفاعةَ منهم لغيرِهم[2].

نكتة التّعبيرِ بالمضارعِ ﴿يَمۡلِكُونَ﴾:

تصويرُ مشهدِ القيامةِ لقطعِ كلِّ رجاءٍ

التّعبيرِ بصّيغةِ المضارعِ في قولِه تعالى: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ﴾؛ للدّلالةِ على الاستمرارِ التّجدّديّ المرادِ في المستقبلِ، أي: هم لا يملكون الشفاعة في المستقبلِ، فإنّه قد نفى عنهم أن يملكوا الشّفاعةَ في ذلكَ الوقتِ، وهو يومُ الحسابِ، وكأنّه حاضرٌ مشاهدٌ، وفيه تصوير المشهد لقطعِ كلِّ رجاءٍ متخيَّل.

تعيينُ مرجعِ الضّميرِ:

تنوُّعُ احتمالِ مرجعِ الضميرِ دليلُ العمومِ والشمولِ

مرجعُ الضّميرِ في قولِه تعالى: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ يجوزُ أن يكونَ عائدًا على الملائكةِ المكرمين، ويجوزُ أن يكونَ عائدًا على عبادِه المؤمنين المتّقين[3]، ويدلّ عليه ذكرُ هؤلاءِ العبادِ فيما تقدّمَ.

ويجوزُ أنْ يكونَ الضّميرُ عائدًا على ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ فيكونُ على هذا التّقديرِ المشركونَ خاصّةً، أيْ: أنّهم لا يملكونَ أنْ يشفعَ لهم؛ فيكونُ قولُه: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ من بابِ الاستثناءِ المنقطعِ، فمن اتّخذَ عهدًا يشفعُ له[4].

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 154.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 565.
(3) السمعاني، تفسير القرآن: 3/ 315.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 32.

بلاغةُ الكنايةِ:

كيف لمن لا يملكُ أمرَ نفسِه أن يشفعُ؟!

معنى قولِه تعالى: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾، أي: لا يستطيعون فعلَ شيءٍ منه؛ فنفيُ الملكِ كنايةٌ عن نفي الاستطاعةِ؛ لكونِهم لا يملكون في هذا اليومِ من أمرِهم شيئًا، فلا يستجيبون لنداءٍ، ولا لكلامٍ؛ لأنّهم لا يستطيعون، وذلك على حدّ قولِه تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٤٢﴾ [القلم: 42][1].

نوعُ التّعريفِ في لفظ ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾:

للعهدِ فهي شفاعةُ الخلقِ بعضِهم لبعضٍ في ذلكَ اليومِ

التّعريفُ في قولِه: ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ دالٌّ على العهدِ، وليسَ مطلقَ الشّفاعةِ، فالمعنى الشّفاعةُ في النّجاةِ من العذابِ والغفرانِ عمَّا كانَ منهم؛ لأنَّ الشّفاعةَ اسمٌ يقعُ على الكثيرِ ممَّا في معناها، والمرادُ هنا شفاعةُ الخلقِ بعضهم لبعضٍ في يومِ القيامةِ.

نكتةُ إيثار اسم ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ على الفعل (أن يشفعوا):

آثرَ النّظم الكريم استعمالَ الاسم ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ على الفعلِ (أن يشفعوا) في قولِه تعالى: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾؛ لما في الاسمِ من صفةِ الثّبوتِ، وما في الفعلِ من صفةِ الحدوثِ، ولمَّا كانت ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ هنا في سياقِ النّفي أوردَها اسمًا لا فعلًا؛ لينفيها على سبيلِ الثّبوتِ واللّزومِ، فلا يملكُها مطلقًا إلَّا من كان مؤهلًا لها.

نوعُ ﴿إِلَّا﴾ ودلالتها:

تحتمل (إلا) الانقطاع والاتصال

تحتمل ﴿إِلَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ أن تكون منقطعة، وهو نوعٌ يستثنى الشّيءُ من غيرِ جنسِه، فالمتّخذون العهدَ عندَه تعالى هم الصّالحون، وفاقدو الشّفاعةِ الّذين لا يملكونها هم الكافرون[2]، فإنَّ من يتّخذُ عندَ الرّحمنِ عهدًا؛ فإنّه ممّن يملكُ الشّفاعةَ عندَه تعالى[3].

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3/ 1525.
(2) محمد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 16/ 123.
(3) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 246.

ويجوزُ أنْ تكونَ ﴿إِلَّا﴾ دالةً على الاستثناءِ المتّصلِ على إرادةِ أنْ يعمَّ لفظُ المجرمينَ العصاةَ والكفرةَ، ثمَّ أخبرَ أنّهُ لا يملكُ الشّفاعةَ إلَّا العصاةُ المؤمنونَ، فهم يشفعُ فيهم[1].

علّةُ التّعريفِ بالموصولِ:

أوردَ الّذين اتّخذوا عندَ الرّحمنِ عهدًا معرّفًا بالاسمِ الموصولِ بقولِه: ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾، ولم يعبّرْ بالاسمِ المعرّفِ بـ(أل)؛ فيقولُ (المتّخذون) إشعارًا لما في الاسمِ الموصولِ من العلّيةِ والسّببِ، فاتّخاذُهمُ العهدَ عندَ الرّحمنِ سببٌ لأنْ يملكوا الشّفاعةَ عندَهُ تعالى.

لطيفةُ التّعبيرِ بالاتّخاذِ:

جاءَ بصيغةِ الافتعالِ في قولِه تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ﴾، وهي صيغةٌ دالةٌ على الكلفةِ والاجتهادِ في الأخذِ[2]؛ للإشارةِ إلى أنّ اتّخاذَ العهدِ عندَ الرّحمنِ ليسَ أمرًا يسيرًا، بل يتوفّرُ على المشقّةِ والمكابدةِ، فلا يكونَ أخذًا يسيرًا.

اتّخاذُ العهدِ عندَ الرّحمنِ شأنٌ يتوفّرُ على المشقّةِ والمكابدةِ

بلاغةُ تقييدِ الاتّخاذِ بالعِنْديَّةِ:

اتّخاذُ الشّفاعةِ مشروطٌ بمَن اتّخذَ عندَ الرّحمنِ عهدًا، واختصّ بذلك، مجتهدًا في تحصيلِ ذلك الفضلِ، وهذا الشّرفِ بالإيمانِ باللّه ورسولِه، بأن يشهدَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللّهُ، وأنّ محمّدًا رسولُ اللّه، ويتبرّأَ إلى اللّه من الحولِ والقوّةِ، ولا يرجو إلَّا اللّهَ، ويعملَ بطاعتِه[3]، وليسَ العهد متاحًا لكلّ أحدٍ؛ فلا يشفعُ إلَّا المأمورُ بالشّفاعةِ، المأذونِ له فيها.

اتخاذُ العهودِ عندَ الحقِّ المعبودِ طريقَ الشّفاعة

سرّ تقديمِ الظّرفِ على المفعولِ:

في اتّخاذِ العهدِ قدّمَ الظّرفَ ﴿عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ على المفعولِ ﴿عَهۡدًا﴾، وسرّ ذلكَ الإشارةُ إلى الاختصاصِ والحصرِ؛ فإنّ من

القبولُ مرهونٌ برضا الرحمن

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 32.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 247.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 255.

يملكُ الشّفاعةَ في ذلكَ اليوم مختصّ بمن اتّخذَ عندَ الرّحمنِ لا عندَ غيرِه عهدًا، فلا عهدَ مقبولٌ عندَ غيرِه تعالى.

سرّ اصطفاءِ اسمِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾:

لاختيارِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ في هذا الموضعِ سببٌ؛ فإنَّ سياقَ الحديثِ عنْ تعدّدِ النّعمِ الكبيرةِ، وشرحِ حالِ الشّاكرينَ والكافرينَ على السّواءِ، فالمعنى أنّنا نحشرُ المتّقينَ إلى مَنْ غمرَهم برحمته، وشملَهم برأفتِه، وعوّدَهم عليها، وذلكَ منْ أعظمِ البشاراتِ لديهم[1].

من عظيم رحمةِ اللهِ بعبادِه الشّفاعة لمستحقيها

دلالةُ التّعبيرِ بالعهدِ مع الشّفاعةِ:

جاءَ التّعبيرُ بالعهدِ في قولِه تعالى: ﴿ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ مقترنًا بالشّفاعةِ؛ لأنّ اتّخاذَ العهدِ من لوازمِ الشّفاعةِ؛ فالعهدُ هو كلمةُ التّوحيدِ، والإيمانُ بها، والقيامُ بحقّها، وهو الإيمانُ بالحقّ سبحانَه وحدَه وكتبِه ورسلِه والملائكةِ، ثمّ العملُ الصّالحُ قولًا وفعلًا[2]، فمَن كانَ هذا عهدُهُ معَ اللّه تعالى حقّت له الشّفاعةُ، وكانَ قمينًا بها.

اتخاذ العهدِ لازم الشّفاعة وقرين النجاة

غرضُ تنكيرِ ﴿عَهۡدٗا﴾:

لمّا كانَ معنى العهدِ هو اللّفظُ الّذي يجمعُ المعانيَ الجمّةَ، مثل كلمةِ التّوحيدِ (لا إلهَ إلّا اللّهُ)، أو الطّاعةِ أو العملِ الصّالحِ أو حفظِ كتابِ اللّه، أو الإذنِ بالشّفاعةِ لمن يشاءُ[3]؛ جاءَ به بصيغةِ التّنكيرِ؛ فإنّ النّكرةَ دالّةٌ على العمومِ.

العهدُ لفظٌ جامعٌ للإيمانِ والأعمالِ الصّالحةِ

بلاغةُ الاحتباكِ:

في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾، وقولِه: ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا﴾ احتباكٌ[4]؛ ففي الآيةِ الأولى ذكرَ

ذكرُ الرّحمنِ دليل على تقدير المنتقمِ وذِكْرُ جهنّمَ دليل على تقدير الجنّةِ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 451.
(2) محمد الهلال، تفسير القرآن الرّي: 16/ 136.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 299.
(4) الاحتباك نوع عزيز فيُحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول، ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 3/ 204.

لفظَ الرّحمنِ مستدلًا به على لفظِ المنتقمِ الجبَّارِ المحذوفِ ثانيًا، وفي الآيةِ الثّانيةِ ذكرَ لفظَ جهنّمَ ثانيًا دليلًا على حذفِ الجنّةِ أولًا[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الشيطان وإبليس:

الشيطان وصفٌ يستغرق شياطين الجان والإنس، وإبليس علمٌ على أحد شياطين الجن

في قولِه تعالى: ﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عبّرَ عمّن يوسوسُ لبني آدمَ ويغويهم بلفظِ الشّياطينِ، واشتقاقُه منْ شطَنَ، إذا بعُدَ وتفرّقَ، وشياطينُ الجنِّ وشياطينُ الإنسِ هم مَرَدَتُهم، أمَّا إبليسُ فهوَ المقصودُ بمنْ أغوى آدمَ حتّى أخرجَهُ من الجنّةِ منْ أبلسَ، إذا يئسَ، ولَمَّا لعنهُ اللّهُ، وغضبَ عليه أبلسَ من رحمةِ اللّه تعالى[2]، والمعنيُّ في الآيةِ عمومُ الشّياطينِ الّذينَ يؤزّونَ الكافرينَ منْ بني آدمَ، ولا يرادُ منهم إبليسُ كبيرُهم الّذي أغوى أباهم آدمَ عليه السلام.

ويردُ لفظُ (إبليس) في القرآنِ الكريمِ على أنّه اسمُ علمٍ للذي عصى اللّهَ، وامتنعَ من السّجودِ لـ(آدم) عليه السلام، وهو مأخوذٌ منْ شدّةِ اليأسِ؛ لأنّ اللّه أبْلسَهُ من الخيرِ كلّه، أي: آيَسَهُ منه[3]، ولَمَّا كانت صفةُ إبليسَ كذلك سُمّي شيطانًا لبُعده عن الخيرِ، أو الحقّ، أو عن رحمةِ اللّه، أو لهلاكِه، والشيطنةُ من فعلِ إبليسَ، لكن إذا ذُكرَ امتناعُ إبليسَ من السّجودِ جاءَ بلفظِه؛ لأنّه يعودُ إلى ذاتِه ونفسِه، وأمَّا إذا ذُكرتْ وسوستُه وإغراؤه وأزّه؛ ذُكر لفظُ الشّيطان[4].

الأزّ والتّهييجِ والهزّ:

الأزّ عملٌ لقصدٍ معيّنٍ، والتّهييجُ لمطلقِ الثّورانِ

ذكرَ فعلَ الشّياطينِ مع الكافرين في قولِه تعالى: ﴿تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾، ومعناه تزعجُهم وتحركُهم وتدفعُهم إلى المعاصي[5]، أمَّا التّهييجُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 247 - 248.
(2) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 23.
(3) الخليل، العين: (صلت).
(4) خضر، دقائق الفروق اللغوية، ص: 282.
(5) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 23.

فيستعملُ لما ثارَ وهدرَ، ولما كانَ فيه مشقّةٌ وضررٌ[1]، والأصلُ في معناه هو ثورانُ الشّيءِ[2]، فثمّةَ فرقٌ بينَ الأزّ والتّهييجِ، فالأولُ عملٌ لقصدٍ معينٍ، وهو التّحريكُ المتضمنُ معنى الإغواءِ والتّعجيلِ لأجلِ المعصيةِ، فهي تسوقُهم وتزعجُهم إلى المعاصي والكفرِ باللهِ سوقًا وإزعاجًا[3]، والثّاني لمطلقِ الثّورانِ.

والأزُّ أشدّ من الهزّ؛ فهو تعبيرٌ عن التّحريكِ الشّديدِ للنّفوسِ بالتّهييجِ، والإقلاقِ، والإزعاجِ، والإغراءِ بالمعاصي، أمَّا الهزّ فمعناه مطلقُ التّحريكِ من المحسوساتِ؛ وكأنّهم خصّوا هذه المعاني بالهمزةِ؛ لأنّها أقوى من الهاءِ، وهي أعظمُ في النّفوسِ، وأوقعُ من الهزّ؛ لأنّك قد تهزّ ما لا بالَ له، كالجذعِ وساقِ الشّجرةِ[4].

استعملَ الحرفَ القويَّ مع المعنى القويّ وهو تحريكُ النّفوسِ، وإزعاجُها

وممَّا يصوغُ دلالةَ قوة الأزّ وشدّتَه، وخفّةَ الهزّ ولينَه تأثيرُ صفتي الصّوتين أنفسِهما؛ فالهمزةُ حرفٌ قويٌّ؛ إذ هو نبرةٌ في الصّدرِ شديدٌ مجهورٌ؛ فاستُعملَ مع المعنى القويّ وهو تحريكُ النّفوسِ، وإزعاجُها، في حينِ يوصفُ الهاءُ بأنّه حرفٌ مهتوتٌ ضعيفٌ لا يكادُ يبينُ في النّطقِ؛ لأنّ صفتَه الرّخاوةُ، والهمسُ؛ فاستُعملَ في المعنى الضّعيفِ، وهو مطلقُ التّحريكِ كهزّ الأشياءِ[5]؛ ولذلك اختيرَ مع فعلِ هزّ السّيدةِ مريمَ عليها السلام النّخلةَ؛ مراعيًا ضعفَها جرَّاءَ الحملِ، قالَ تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ [مريم: 25].

(1) الخليل، العين: (هيج)، والجوهري، الصحاح: (هيج).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هيج).
(3) ابن القيم، طريق الهجرتين: 1/ 404.
(4) ابن جني، الخصائص: 2/ 148.
(5) خضر، دقائق الفروق اللغوية، ص: 282.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»